

البلاغة العربية والبلاغة المرئية

أ.د. سوادى فرج مكلف

جامعة البصرة - كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

م.م. أسامة حسين شاهين

مديرية تربية المثنى

ملخص البحث

ترمي هذه المقاربة لاقتناص العلاقة بين البلاغة العربية، وبلاغة المرئي بإشارة ندبت إليها تعريفات البلاغة تدخل ضمنها تحول مفهوم الرسالة الذي يضيق عند شخصين ويتسع ليحمل الرسائل المرئية، والخط وتجليات علاماته التشكيلية، أما الشاهد الحسي والصورة المرئية، فإنهما الأظهر؛ لأن كل تحديث يعترى البلاغة لا يُعدُّ بلاغة ما لم يمشِ بطريقة موازية مع أصول الثقافة العربية بوساطة إشارات لرسائل رمزية خطية مرئية، تتنازعها وظائف جمالية تأثيرية تواصلية، تعتمد على الأهواء والعقل على حد سواء.

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، البلاغة المرئية، بلاغة الرسالة والخط

Arabic Rhetoric and Visual Rhetoric

Prof. Dr. Sawadi Faraj Muklif

college of Education for Human Sciences/ University of Basrah/ Department of Arabic

Asst. Lect. Osama Hussein Shaheen

Directorate of Education/ Muthana Province

Abstract

This study aims at showing the relationship between Arabic rhetoric and visual rhetoric. It surveys the definitions of rhetoric including the change in the concept of the message that is too narrow for two persons and which is wide enough to carry visual messages, the orthography and the realizations of its structural markers. The tangible sign and the visual image are considered the most prominent ones, for every update that touches rhetoric is not considered rhetoric unless it goes parallel to the origins of Arabic culture by means of the signs of visual and written messages with good communicative and aesthetic employments that depend on preferences and mind as well.

Key words: Arabic Rhetoric, visual rhetoric, the rhetoric of the message, orthography.

تمتخ البلاغة المرئية من البلاغة العربية القديمة التي تعتمد على الخيال لسبر أغوار المعاني وتحقق مؤداها داخل الخطاب، وقد احترف أرباب البلاغة الأسلاف نثرها في مدوناتهم لتوصيل الأفكار بوساطة مدوناتهم عندما تشحن بالشاهد الحسي المباشر أو غير المباشر أو عندما تستعار بعض الألفاظ التي تدل على تجليات الصورة المرئية؛ لأنها الأكثر قوة وأكثر فاعلية في صياغة النظريات البلاغية ويؤكد هذا أنها تحظى بالدرس والفحص عند مقاربتها مع الأطروحات الحديثة، ليكون مصداقاً لما أشار له الدكتور أحمد مطلوب عندما وصف البلاغة العربية بأنها "الفن الذي ينضج ولم يحترق"^(١)، وهذا سيكون الأساس في رصد إشارات بلاغة المرئي في البلاغة العربية عندما نتحسس علاماتها في نسيج الخطاب البلاغي عند أساطين علم البلاغة بجهود معاصرة.

البلاغة العربية والبلاغة المرئية

إنَّ النسق البلاغي يعيش تحولات مستمرة بين الانتعاش والانكماش، وهذه الجدلية تشهدها البلاغة العربية، وهي ترفض المعاصرة وتخشاها؛ لأنها ترى فيها تجديداً ينطوي على تهديد يجتاح كل ما أرساه السابقون، وهذا التفكير قد يكون منطقياً في جزء منه، فالعودة إلى البلاغة العربية القديمة بوصفها رافداً رئيساً لتوجهات بلاغية معاصرة يكتنز "كثيراً من الجوانب الطريفة التي، نعتقد أنها لم تفقد نجاعتها في مواجهة التحليل الأدبي، كما أنَّ فيه من المعاصرة الشيء الكثير، لكن علينا أن نكتشف السبيل إلى تلك المظاهر"^(٢)، وهذه الجوانب تبقى حبيسة المدونات إن لم تتوافر القدرة النقدية لانتقاء نماذج ترفد الميدان البلاغي بالمعطيات التراثية وتتجاوز مع المنهجيات البلاغية الجديدة، وهذا يؤدي إلى الانفتاح والتحول نحو مقاربات بلاغية تنسجم مع رياح المعاصرة والتجديد القريبة من الجمهور الذي يتطلع إلى صياغة خطاب بلاغي مؤثر يعتمد العقل والأهواء.

تتطلق بلاغة المرئي كما يرى د. عماد عبد اللطيف من أسس نظرية تُستمد من علوم السيميوطيقا والفنون وغيرها، وتطور منهجيات مشتركة في تحليل المرئي، وتتشارك أسئلة معرفية محددة، مثل العلاقة بين اللفظي والبصري، وكيفية إنجاز المرئي للإقناع والتأثير. وتشارك في مادة بحثها؛ وهي العلامات المرئية على تنوعها^(٣). إذاً هي نسيج من العلامات غير اللغوية واللغوية الموازية والمجاورة تعتمد قناة الرؤية في فحص الآثار الإبداعية والمعرفية وتحليلها والقدرة على البناء والتركيب بآليات التأويل التي تنسجم مع النص، وقراءة الرسائل المرئية قراءة فاحصة والكشف عن وظائفها القارة في العلامة الأيقونية والتشكيلية، ومعالجتها للخطاب الإقناعي بالوسائط غير اللغوية، تهتم بأسئلة معرفية محدده تعالج كيفية تأثير الصور والرسومات والأشكال التوضيحية والجداول والرسوم البيانية والصور المتحركة في اتجاهات الناس وآرائهم ومعتقداتهم" فمحور المقاربة البلاغية للمرئي هو الأبعاد الحجاجية والإقناعية للمرئيات^(٤)، إذاً فالخطاب المرئي عبارة عن تقنيات موجهة ترمي إلى شحن الرائي، بقيم جمالية، وتحريضية، ومعرفية بوساطة المرتكزات الحجاجية "اللوغوس (تقنيات اللغة الحجاجية)، والإيتوس (الصورة الأخلاقية الفضلى للمتكلم وكفاءته معرفياً وقيماً)، والباتوس (الترويج والترهيب)"^(٥). وهذه المعطيات ستكون مسار هذه



بلاغة الرسالة والخط:

البلاغة المرئية اتجاه متسع موغل في حقول مجاورة أهمها الدراسات الثقافية والسيمائية وإعلام وإشهار، وجماليات التلقي والتداولية، لكنها مستقلة في منطقة العمل والتقنيات والآليات تنطلق من محددات بلاغية اتصالية تستعير بعض مفاهيمها من تيارات معرفية معاصرة متصلة باللسانيات، وهي من فروض ما بعد الحداثة التي تلغي المركزية؛ لذلك "إن الدراسات التي تستعمل تعبير بلاغة المرئي، يصعب أن تتدرج كلها في حقل معرفي واحد"^(٦)، وهذا يُنبئ باتساعها، وتداخلها مع الأصول المعرفية القارة، لكن هذا لا يمنع من فحص المصطلح لنصل إلى نتيجة منطقية تمكنا من إسقاطها على النصوص الإبداعية، وهذا يتوقف على الكشف عن العلاقة بوساطة مراجعة المعجمات والتراث، فثمة دلالة ثرية للمفردتين (البلاغة، المرئي) ترشحهما لتأثير بلاغة المرئي، ونبدأ من دلالة البلاغة المعجمية: رجل بليغٌ وبلغٌ وبلغٌ: حسنُ الكلام فصيحُه يبلغُ بعبارة لسانه كُنْه ما في قلبه، والجمعُ بُلْغاءٌ، وقد بُلِّغَ، بالضم بَلَاغَةً، أي: صار بليغاً وقولٌ بليغٌ: بالغٌ وقد بُلِّغَ^(٧). فالقول البليغ قد لا يكون محدداً بدلالة ضيقة تستعصي الفهم؛ ذلك لأنه يتعارض مع (بالغٌ وقد بُلِّغَ)، التي تنبئ عن توافر سمات خطابية خطية تجعل القول بليغاً بتحيزاته وتشكلاته؛ فالكتابة تشكيل مرئي، وإن كانت أصوله اللفظية مسموعة، فلولا الرؤية لما تحصل الإبلاغ، وهي غير محددة بفضاء كتابي، بل تتسع لتشمل قراءة الصور الثابتة والمتحركة.

تقتصر الرسالة على بعد التواصل، عندما تشهد عناصرها انفتاحاً يتوآشج مع سمة تؤكدها وظيفة الخط الجمالية الحاضرة في الثقافة، والبلاغة العربية الذي يؤسس لإفهام دلالة تحققها تشكيلات خطية تلون الخطاب، وتجعله جسراً لتحصيل المعاني، والدلالة بوساطة العلامات، والإشارات اللافتة في بعدي الرسالة والخط.

البلاغة لغة: "البلاغة التي يُمدحُ بها الفصيحُ اللسان، لآثُه يبلغُ بها ما يريدُه، ولي في هذا إبلاغٌ أي كفاية"^(٨). يتضح أن الإبلاغ هو غاية البلاغة. أما في الاصطلاح فتشير المدونات إلى تعريفات الجاحظ التي تُعدُّ الأسس الإجرائية، وسند العدة المصطلحية؛ إذ قدم مجموعة من التعريفات، منها ما نقله عن ابن المقفع (ت ١٤٢هـ): "البلاغة اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة؛ منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، وربما كانت رسائل. فعمامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة"^(٩).

إن الاستهلال في هذا التعريف يشير بوضوح إلى كوة الانفتاح على البلاغات الحديثة، ويمكن ملاحظته من معنى التبويض الواضح، فهو يذكر بعضها، وربما غُيبت أخرى، ليكون التجديد من يبلورها ويمنحها المنهج والوظيفة، وهو يخرج من الخاص إلى العام، عندما يقول (فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ)؛ لأنها أصبحت من لوازم سمات بلاغات معاصرة دعامتها الإشارة والعلامة المرئية، وهذا النص الواصف من (ابن المقفع) يشكل المعنى البلاغي، ويبين مفهوم فن البلاغة بدقة واتساع.





أما التأمل في قوله: "وربما كانت رسائل" هذا المعنى يفتح مسار التحليل، فالرسالة مصطلح متسع جداً؛ لأنها وسيلة اتصال تنقل بالكلمات أو الإشارات أو بوسيلة أخرى من شخصٍ ما أو محطة أو من مجموعة لأخرى"^(١٠)، وهو مفهوم يؤثر ويبلور الأفكار ويسهم في إذاعة الأخبار بوساطة تقنيات خاصة؛ لأن "كل رسالة فيما بين الخلق هي الوساطة بين المرسل والمرسل إليه في إيصال الأخبار"^(١١)، وهذه العملية الإيصالية تستهدف عنصراً بعينه أو قد تخرج إلى الجمهور الذي يتوجه إليه الخطاب، فتكون رسائل دينية، وأدبية، واجتماعية، وقد تتسع لتشكّل ايدولوجيا وهذا واضح في (رسائل أخوان الصفا) أو (رسالة الغفران، لأبي العلاء المعري)، التي كانت حمالة لمعالم فلسفية، وقد تتسع لتكون الوحي المنزل من السماء لإنقاذ العباد، منها رسالة المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

فهذه الرسائل والتشكيلات المختلفة في الثقافة العربية لا يمكن سبرها من دون معرفة الأسس التي تشترك في توطيدها وزيادة فاعليتها بما ينسجم والوظيفة؛ لذلك "تكشف نظرة فاحصة لما تمثله هذه الأقطاب أن الأهمية القصوى في المستوى الإبلاغي تنحصر في الرسالة نفسها، التي يسعى المرسل (المبلغ) إلى الحفاظ عليها وأدائها من دون أن تغير في طبيعتها أية زيادة تعود إليه أو إلى غيره، وبخاصة المتلقي (المبلغ)، وهو بدوره يسعى إلى استقبال هذه الرسالة حريصاً على أن يحفظ لها الاستقلال عما يغيرها"^(١٢). وهي الأطراف الرئيسة في التصور المرئي ضمن مؤدى الرسالة التي تهيمن عليها العلامات البصرية المؤدية لوظيفة إقناعية، وبلاغة الرسالة تعتمد على الخط أحياناً إذ يسهم في الوصول إلى شغاف القلب إن توافرت فيها مهارة الكاتب الذي يصدرها بعناية، وهي علامات لا يمكن أن تكتشف من دون تحقيق الرؤية البصرية التي لها "القدرة على توصيل رسالة أو فكرة على شكل صورة بصرية"^(١٣).

إن هذه بعض أنماط الرسائل المرئية المحملة بالعلامات التي تطور مفهومها داخل المنظومة الثقافية ليصلنا متمظهراً بالقوة البصرية والتحيز المكاني تلك "الأمكنة" حيث تم اللقاء بين الرسالة والمُشاهد هو الذي فعل فعله الإيحائي برفع مستوى الإطناب"^(١٤). وبهذه المظان توظف الرسائل المرئية بوصفها جوهرًا تنتج مظاهره المادية في آن معا عن القناة والمرجع، جوهر مبنوث من باث وملتقط من متلق^(١٥)، وهي تحظى بقوة أدبية اقناعية عندما يمتزج الشكل مع المضمون وتقدم "الوظيفة الشعرية (وأحياناً البلاغية)؛ لأنها تركز على الرسالة ذاتها، فإنها تجلب الانتباه إلى لطريقة التي ألفت بها الرسالة ذاتها. في الشعر مثلاً تفرض القافية على الملفوظ منطقاً خاصاً. في رسالة نثرية نهتم باختيار الكلمات حسب معناها أو قيمتها التعبيرية وليس شكلها"^(١٦) وقد يتحول الخط إلى رسالة، بل قد يشكل لغة لا تقل شأنًا عن المنطوق، فيشع بعلامات إيصالية يلتقطها الرائي عندما يفحص ذلك التشكيل الخطي والأيقوني، وهي "تمثل الرغبة الإيصالية ركيزة أساسية للخط، فحتى لو غاب فيها المنطوق فهي تعكس ذاتها بذاتها شأنها شأن الفرق بين الصوت المنطوق والحرف المكتوب"^(١٧) ولذلك تناول ابن وهب الكاتب (ت ٢٩٥ هـ) أبواب البيان بصورة مفصلة وأدخل ضمنه (باب الكتاب)، الذي قال فيه "الكتاب أحد اللسانين لأنك إذا قرأت كتاباً كأنك قد سمعت لفظ صاحبه. وقيل القلم أبقي أثراً"^(١٨)، واللافت رؤيته الواضحة لعملية التواصل،

والفهم الأمثل لوسائل الدلالة التي تؤدي وظيفة الإحاطة بالمعنى، وهو من وسائل البيان التي تمتح من البلاغة القائمة على عناصر تشكلها وتسهم في تفعيلها بوسائط (اللفظ، والإشارة، والخط، والعلامة)* لتحقيق الفهم والإفهام بوصفهما وظيفتين جوهريتين في البلاغة بصرف النظر عن القالب الشكلي الذي يُحمل بالدلالة على الرغم من التقابل بين الوجود اللفظي والكتبي، "فهو واحدٌ في علاماته الإيصالية ودلالاته المتعددة، لأنَّ فائدة المكتوب كفاءة الشفوي تماماً في تأدية الإبلاغ المرجو منها وإن اختلفت وسيلة كلٍّ منهما"^(١٩) وبهذا تسهم هذه الوسائط في ترسيم حدود البلاغة القريبة من بلاغة المرئي، وهي لا تخرج عن المفاهيم القارة في التسنين البلاغي حين اجتهد أعلام البلاغة في توطيئها، وهذه الدواعي التي يتواشج فيها الخط بوصفه علامة تسهم في الاستمالة والإقناع وتحقيق غاية الخطابات التي تمزج بين استثارة الأهواء ومخاطبة العقل.

يُلاحظ هيمنة دوالٍ تُحيل لمدلول مرئي، وهي علامات لفظية تشكل علامات مرئية داخل السياق الخطابي، حيث برزت في الثقافة العربية، ويمكن القول إن هذه العناصر اللفظية تشكل مجموعها صورة ذهنية تتكون من علامات مرئية تحقق وظائف في الاتصال.

فكان لإرساء دعائم الخط وعنايتهم به أدخل البيان في العلاقة بين العلامة والسمياء؛ لأنَّ التصور المرئي للعلامة يكوّن ثمرة لتفكير بياني يجعل شحنات الخط تشع بدلالات، مرئية يكسبها المتلقي بحسب تسنيته الثقافي.

الصورة المرئية التشكل والوظيفة

ينطوي التفكير البلاغي على فضاءات كثيرة تنثير البحث عن خطاب متشابه في استدعائه لعناصر تجتاح المهيمنات الثقافية لتثبت تسيدته المشهد التأليفي البلاغي ومن ذلك ما يتكرر من ألفاظ تحيل إلى المرئي، (شهد، البصر، والعيان)؛ فالعين مفتاح المعرفة، ورؤية العين جوهر الحواس الإنسانية، بل هي مسبار رؤيا العالم، وأبعاده الأيديولوجية.

إنَّ الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) يربط الألفاظ والصورة المرئية التي يحاول بثها بوساطة العناصر الكتابية المتوافرة بحجة العيان بوصفها حجة لا يصلها الشك ولذلك قال: "ومن يماري في العيان إلاّ الجاهل"^(٢٠)؛ إذ يُلاحظ في مشروعه أسس متينة وراسخة لتشكيل الصور بوساطة اعتماده الشاهد المرئي، ويقصد به ذلك الشاهد الذي يتحسس الكاتب مباشرة من دون وسيط، فيعتمده أساساً في صياغة المفاهيم لكي تكون الحجة أقطع عند المتلقي، حيث تسلط العين على مرئيات تتجلى في الواقع العياني للمؤلف فيصوغ منها مفاهيم معتبرة وآليات معاصرة وبذلك تكون مَهْمَةُ البلاغي واسعة لرصد ما تلتقطه العين واسقاطها لصياغة بلاغة عربية رصينة، تحرص في صياغة مفاهيمها، وعدتها المصطلحية على شاهد العيان الذي "يشهد بشيء رآه"^(٢١). وهذا النمط متحقق في طروحات الجاحظ.

يُعدُّ الشاهد المرئي الأنقى والأسلم في التوصيل، فكان يثق بما يراه، ويقنع به، ويعتمده لتوصيل الأفكار ويشترط لفاعليتها الصحة والأصالة والوضوح، وهو فحص علامات تقضي لإقناع القارئ في الحقل التأليفي؛ لأنَّ الجاحظ وهو يكتب يستدعي الشاهد لتأصيل نظرية البيان، فيروي الحوادث ويدخل



القارئ معه، ويهدف به إلى الإقناع، وهذه التقنية أرهصت بوجود ملامح بلاغة المرئي في مرويياته، وبينت العلامات المرئية التي يقنع بها المتلقي؛ لذلك أسهم في تشكل بلاغة المرئي في الثقافة العربية.

يقف الجاحظ بوساطة الشاهد المرئي عند الواقعة ويسجلها كآلة تصوير تحظى بوظيفة إقناعية وإبلاغية تسهم في ربط عناصر الاتصال لإنجاح مؤدى الخطاب، فقام بتطويع العلامة المرئية لخدمة عملية الاتصال بطريقة مقصدية لتقريبها من الأذهان ولتحقيق التواصل بين البلاغي والمتلقي، عندما يتحول الرمز اللغوي إلى علامة مرئية تظهر في قولها اللفظية، وهذا ما يمكن أخذه من علاقة الدال بالمدلول بوصفه الصورة الذهنية التي يشكلها الدال وهي تسبغ على الخطاب المسحة المرئية عندما ترسم الصورة الذهنية وتحدد معالمها بصيغتها القريبة من الألفاظ الموحية والمؤدية إلى بلاغة المرئي، وهي تبث العلامات بمقصدية من المؤلف لتحقيق الاستمالة والإقناع "وبفضل خصوبة العلامة تكون وظيفتها القبض على شروط الجمال الصوري بحيث كلما تتشابه دلالات العلامة تصنع مدلولاً معرفياً"^(٢٢). وهذه السمة لا تعدو أن تكون جزءاً من بلاغة المرئي في تواسج المرئي والإقناع. على أن اختلاف الألفاظ المكتوبة المَحِيلَة إلى رؤية "تجعل" الكلمات تظهر مشابهة للأشياء لأننا نفكر بها من حيث هي علامات مرئية تشير إلى كلمات يقرأها من يفهم تلك العلامات: إننا نستطيع أن نرى ونلمس "كلمات" منقوشة مثل هذه في نصوص وكتب"^(٢٣)، تتسق مع العلامة المرئية لتحقيق مع إمكانات البيان المرئية خدمة تعليمية توصيلية توقع وتقنع المتلقي بمفاتها المرئية، وقوتها التعبيرية وتوصيل الأفكار بالصورة المرئية داخل الخطاب و"الحجج التي ساقها تأييداً لفكرته استقاها من الواقع المُعَاين، وحجّة المعايينة (...) من أقوى الحجج وأنجعها في التأثير على المُتَلَقِّي"^(٢٤)، وإن كان ترتيب العبارات لصناعة صورة مرئية تتخللها مفردات تحيل الى الفعل (رأى) المتحقق بالإدراك البصري التي استعملها الجاحظ ومن جاء بعده لتوصيف (الصورة المرئية)، بالاعتماد على الوسائل اللفظية فيمكن أن يصطلح عليها الصورة المرئية المباشرة المتحققة بفعل عوامل لقاء مباشر بين عين الإدراك والبصر، أو قد تكون الصورة المرئية غير مباشرة يرسمها المؤلف، ليحقق الإبداع عندما يعمد للفن الذي يمكنه من رسم صورة مرئية تحاكي الأصل ليكون أبلغ في طروحاته.

وثمة علامة مرئية ترمي إلى الإيصال الذي يُعَدُّ المرتكز الأساس عند الرماني (ت ٣٨٦هـ) الذي يدعو إلى الاهتمام بمنزلة المتلقي/ الرائي، الذي يُلمح إليه في حدّه للبلاغة بوصفها "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"^(٢٥)، وهو يرصد تشكل الأفق المرئي في الخطاب الذي يتجلى في (أحسن صورة)، المتحصلة بالتصور الذهني بوساطة القناة المرئية، وهو ليس ببعيد عن قول الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) الذي يرى في البلاغة "الافتقار على الإبانة عن المعاني الكامنة في النفوس، على عبارات جليّة ومعاني نقيّة بهيّة"^(٢٦). من مقدمات (الافتقار) أن تكون النصوص ذات صبغة فنية إبداعية تشع بالمعاني تؤدي فيها الرؤية البصرية دوراً حاسماً"^(٢٧) ومهماً في صياغة بلاغة التواصل تقوم على العلامة.

تتراوح فاعلية العلامة المرئية في الصورة المرئية بوصفها شاهداً على الأحداث، وقوتها تكون بحسب





قربها من الحدث، وربما ركز بعض البلاغيين على العلامة المرئية عندما نلفي طروحاتهم النقدية تستعين بآليات مرئية تسهم في بلورة الأفكار عند القارئ وهذا حاضر عند **عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ)** : الذي يتسلسل في بيانه بذكره العناصر الجمالية داخل الخطاب الشعري حين يحلل القيم الجمالية. وهو يدلف بصراحة بقوة البصر والابتعاد به عن كل تجليات الريب والشك حيث دلت عليها مهيمنات الشاهد في ذلك وهذا بين في استدعاء الظاهرة المراد توصيلها إلى المشاهد بقوة الشاهد الحسي الذي يرافق التسلسل المنطقي في رسم الأحداث والوصول بها إلى غاية الرؤية، وهذا كثير وروده في أسرار البلاغة الذي ألفه لبيان معنى المعنى مرتكزاً فيه على القيم الحسية والجمالية في تذوق المعنى بوساطة الرؤية البصرية بوصفها القناة الأقوى في التوصيل؛ لذلك فطن لها وعالجها بطرق مختلفة في كتابه أسرار البلاغة وهو يرى المزية للمشاهدة في تحريك النفس واستثارتها بقوة التمثيل كما قال: "ولو أن رجلاً أراد أن يضرب لك مثلاً في تنافي الشينين فقال: هذا وذاك هل يجتمعان؟، وأشار إلى ماء ونارٍ حاضرين، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال: هل يجتمع الماء والنار؟، وذلك الذي تفعل المشاهدة من التحريك للنفس، والذي يجب بها من تمكّن المعنى في القلب إذا كان مستفاداً من العيان، ومتصرفاً حيث تتصرف العيان وإلا فلا حاجة بنا في معرفة أن الماء والنار لا يجتمعان إلى ما يؤكد من رجوع إلى مشاهدة واستيثاق تجربة، ومما يدلّك على أن التمثيل بالمشاهدة يزيدك أنساً" (٢٨) وهو بهذا الشاهد الحسي يعتمد إلى بيان قيمة التمثيل الجمالية والحسية التي تسهم في بلورة الأفكار عند المتلقي، عندما تمزج بين منطلقين الأول حسي جمالي والثاني عقلي تخيلي. وهو واضح في تسلسله الذي يسرد به قوة التمثيل بوصفها القوة التي تؤدي إلى حصول الاقناع والامتاع بوساطته داخل الخطاب والغرض البلاغي المطروح الذي عمد فيه الجرجاني إلى التحليل المرئي ليكون صورة واضحة عنه. وهو يصل إلى الإفهام والوصف الدقيق عندما يتمثل بالمشاهدة فهذه النكت الدقيقة داخل أسرار البلاغة وغيرها كثير يعتمد فيها على الصورة المرئية التي يدعن لها المتلقي في كل تجلياتها وفي كل المسائل المرتبطة، وهذا ليس بعيداً عن فروع البلاغة التي "تجد البيان اسماً جامعاً لكل ما يحقق التواصل ومهما كانت العلامات" (٢٩). بما أن العلامة المرئية ما يهمنها داخل هذه الوقفات السريعة مع البيان بكل تجلياته؛ لترقى بلاغته، وتحدث أساليبه، فإنّه يشكل الإطار المفهومي الذي يركز عليه الدرس البلاغي الحديث.

أما **حازم القرطاجني (٦٨٤هـ)**، الذي استثمر كل مكوناته وقدراته الثقافية والفلسفية عند حديثه عن ثنائية، (الخطابي والشعري)، (التخيل والمحاكاة) و(العيان والأذهان)، وكيف تُسهم في تحقيق الاقناع وهذه الحقائق الواضحة التي تستلهم من الخطاب الشعري القيم الاتصالية التي تنير المتلقي وتحفز به الذائقة عندما تشف هذه المعالجات عن القوة الاستباطية للصور المرئية التي يكتنز بها النص ولهذا قال: "إن المعاني هي الصور الحاصلة في الأذهان عن الأشياء الموجودة في الأعيان. فكل شيء له وجود خارج الذهن فإنه إذا أدرك حصلت له صورة في الذهن تطابق لما أدرك منه" (٣٠) وفي نص يقابل به بين الذهن والعين في فك ما غمض من المعاني المتفاوتة، القائمة على تقابل الخطابي والشعري، وقدرة المبدع على الملاءمة بينها في الخيال، إذ "ان تشكل صور الحقائق العينية في الذهن يتم عبر عملية

تخيّلية ينجزها منشئ الكلام الأدبي البليغ قبل إنجاز الكلام، ترافقها عملية تشكيل الهيئة اللفظية لتلك الصور في فهم المبدع وعقله^(٣١) فيكون المعنى مضمرًا في ثنائية يفك رموزها الإدراك وكلها تروم فهم الكلام الأدبي الذي تسبغه الجماليات فيكتسي الشعر بالمعاني الأصيلة الرائقة للمتلقّي "وهذه المعاني نفسها التي تشكل طبقتي الشعر، الحرفية والمجازية (المرئية وغير المرئية)، إذ إن الرصيد العام المشترك والمشهور والمتصل بما يجد له الإنسان فرحاً أو ترحاً وبمس شغاف قلوب الناس الذي يناسب الشعر"^(٣٢)، وصناعة الشعر لا يمكنها التخلي عن المقاصد الخطابية التي تتحرى الإقناع لذلك يُمزج بين الخطابي والشعري، وهذه العلاقة الحميمة لا يمكن فصلها "لأنّ صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئاً من الإقناع، كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئاً يسيراً من المتخيلات"^(٣٣)؛ لذلك تدخل في تجنيس ذلك كل التقنيات التي تؤدي إلى تحقيق الإقناع عندما تتم عملية "المؤانسة بين المعاني الشعرية والخطابية، والمراوحة بينها، أو ما سماه المؤاذاة بين المعاني وتعضيد المعاني الشعرية بالخطابية"^(٣٤)، وهذه المؤانسة تسيطر على المتلقّي لحظة تلقي العمل الإبداعي الشعري وتقف قبالة العقل وحجته، وهي الانفعالات (الباطوس)، الأقرب من الروح الإنسانية فيتوخاها الشعر، ويعتمدها للوصول إلى أغراض إنسانية يتفاعل معها الشعري والخطابي وهي المتعلقة بصورة مرئية تتخللها آليات الإقناع ووسائله لتحقيق الإثارة عن طريق الأهواء التي تُعدّ الأساس فيها، فتكون ادعى إلى القبول والتفاعل معه داخل الواقعة الخطابية.

الخاتمة

- ١- زخر إنتاج الخطاب التألّفي لعلماء البيان بآثار و وقائع مرئية تتخللها قيم جمالية حرص البلاغيون على استدعاء مضامينها لتعضّد الرأي، وتُعلم المتلقّي براعة المؤلف، وتمكنه من أدواته المعرفية، ومن ثمّ درايته بأدق التفاصيل، وهذا يُسهم في رواج أفكاره.
- ٢- شملت حدود بلاغة المرئي أطروحات البيان ومؤشرات في أطر التأليف كما رصدته معالم دراسات حديثة تفيد من (الأيقون، والمؤشر والرمز)، وما يقابلها في علم البيان (التشبيه والاستعارة والكناية)، وهذه البلاغة تحيط بكل أدوات التعبير التي تبدأ بالتشكيل الكتابي وتنتهي مع الأيقوني والصورة، وتبحثها ضمن محيطها الثقافي والأدبي.
- ٣- تتضح ملامح بلاغة المرئي في البلاغة العربية بوصفها رسائل بصرية رمزية لفظية أو خطية أو مرئية تتنازعها وظائف جمالية واتصالية وإبلاغية واقناعية وتأثيرية تعتمد على الأهواء والعقل على حد سواء.

هوامش البحث

(١) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٦م: ٨/١.

(٢) التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة): د. حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط ٣، ٢٠١٠م: ٥٥٢.





- (٣) ينظر: البلاغة الغربية المعاصرة مدخل موجّه للباحث العربي: ٧٤.
- (٤) المصدر نفسه: ٦١.
- (٥) من الحجاج الى البلاغة الجديدة: د. جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م: ٦٠-٦١.
- (٦) البلاغة الغربية المعاصرة مدخل موجّه للباحث العربي: ٦٠.
- (٧) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفرقي (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ: ٣٥١-٣٥٠/١ (بلغ).
- (٨) معجم مقاييس اللغة: ١٥٦/١ (بلغ).
- (٩) البيان والتبيين: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح (عبد السلام محمد هارون) مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ٧، ١٩٩٨م: ١١٥-١١٦. وينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٦م: ١٩.
- (١٠) معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م: ٢٩٠.
- (١١) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي (ت ١٠٩٥هـ)، إعداد، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٩٨م: ٢٢٢.
- (١٢) أنساق التداول التعبيري دراسة في نظم الاتصال الأدبي ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً، د. فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١، ٢٠٠٩م: ٤٢.
- (١٣) الإتصال البصري في الفن والإعلام: د. نمير قاسم خلف، رباب كريم كيطن، صفحات للدراسات، سورية، دمشق، ط ١، ٢٠١٦م: ٨.
- (١٤) بحث في العلامة المرئية من أجل بلاغة الصورة: ٣٧٤.
- (١٥) ينظر: الوجيز في السيميائية العامة: جان ماري كلينكبرغ، ترجمة جمال الحضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م: ١٠٠.
- (١٦) المصدر نفسه: ٤٩.
- (١٧) نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، د. عايدة حوشي، صفحات، سورية، دمشق، ٢٠١٧م: ١٩١.
- (١٨) البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، ابن وهب الكاتب (ت القرن الرابع للهجرة)، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط ١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م: ٢٥٤.
- * ((الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والنُصبة... وتابعه ابن وهب وقال إن الدلالات أربعة أوجه: بيان الأشياء بذواتها وبيان الاعتقاد، وبيان العبارة، وبيان الكتاب... والبيان عند الرماني الاحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره من الإدراك، وأقسامه أربعة: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة. وهذا قريب مما ذهب إليه الجاحظ وابن وهب)): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٤٠٨/١.
- (١٩) نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس: ١٨٢.
- (٢٠) رسائل الجاحظ الرسائل الأدبية: عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، قدم لها، د. علي أبو ملح، دار الهلال، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م: ٥٩.



(٢١) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٢٤١ (ش، هـ، د).

(٢٢) بلاغة العلامة الحية، ياسين النصير، خضير الزبيدي، أمل الجديدة، سورية دمشق، ط١، ٢٠١٥م: ٣٦.

(٢٣) الشفاهية والكتابة، والترج. أونج، ترجمة: د. حسن البنا عز الدين، مراجعة محمد عصفور: عالم المعرفة، الكويت، ع١٨٢، فبراير، ١٩٩٤م: ٤٨.

(٢٤) كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: د. علي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان ط١، ٢٠١٠م: ٢٣٥.

(٢٥) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: تحقيق، محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٧٦م: ٧٥-٧٦.

(٢٦) إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د. ت): ١٩٤.

(٢٥) التشكيل المرئي في النص الروائي الجديد: مهدي صلاح الجويدي، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م: ٣١.

(٢٨) أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٩١م: ١٢٧.

(٢٩) نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس: ١٨١.

(٣٠) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م: ١٨-١٩.

(٣١) الشعري والخطابي في (منهاج) حازم القرطاجني، د. يحيى صالح المنحجي، ضمن كتاب تداخل الأنواع الأدبية، إشراف وتحرير، د. نبيل حداد، د. محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، الأردن، إريد، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م:

٨٨٧-٨٨٦/٢.

(٣٢) الحجاج وتحليل الخطاب دراسات مهداة إلى الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق، رشيد شجيع، عالم الكتب الحديث، إريد، الأردن، ط١، ٢٠١٧م: ٢٩٧.

(٣٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني: ٣٤٧.

(٣٤) الشعري والخطابي في (منهاج) حازم القرطاجني: م ٢ / ٨٩٠.

مصادر البحث

القرآن الكريم

١. الإتصال البصري في الفن والإعلام: د. نمير قاسم خلف، رباب كريم كيضان، صفحات للدراسات، سورية، دمشق، ط١، ٢٠١٦م.

٢. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٩١م: ١٢٧.

٣. إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د. ت).

٤. أنساق التداول التعبيري دراسة في نظم الاتصال الأدبي ألف ليلة وليلة أنموذجاً تطبيقياً، د. فائز الشرع، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٩م.

٥. بحث في العلامة المرئية من أجل بلاغة الصورة: مجموعة مو: تر، د. سمر محمد سعد. مركز دراسات الوحدة



- العربية، ٢٠١٢م.
٦. البرهان في وجوه البيان: أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم، ابن وهب الكاتب (القرن الرابع للهجرة)، تحقيق د. أحمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، ط١، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.
٧. بلاغة العلامة الحية: ياسين النصير، خضير الزيدي، أمل الجديدة، سورية دمشق، ط١، ٢٠١٥م.
٨. البيان والتبيين: أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح (عبد السلام محمد هارون) مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٧، ١٩٩٨م.
٩. تداخل الأنواع الأدبية، إشراف وتحرير، د. نبيل حداد، د. محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، الأردن، إربد، ط١، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٩م: ٨٨٦/٢-٨٨٧.
١٠. التشكيل المرئي في النص الروائي الجديد: مهدي صلاح الجويدي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.
١١. التفكير البلاغي عند العرب: أسسه وتطورَه إلى القرن السادس (مشروع قراءة): د. حمادي صمود، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠١٠م: ٥٥٢.
١٢. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني: تحقيق، محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٧٦م.
١٣. الحجاج وتحليل الخطاب دراسات مهداة إلى الدكتور أبو بكر العزاوي، تنسيق، رشيد شجيع، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط١، ٢٠١٧م.
١٤. رسائل الجاحظ الرسائل الأدبية: عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، قدم لها، د. علي أبو ملحم، دار الهلال، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م.
١٥. كتاب الصناعتين الكتابية والشعر: أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق، علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
١٦. كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج: د. علي محمد علي سلمان، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، لبنان ط١، ٢٠١٠م.
١٧. الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٥هـ)، إعداد، عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٨م.
١٨. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفرقي (ت ٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٣٥٠/١-٣٥١ (بلغ).
١٩. معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٦م.
٢١. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق، عبد السلام محمد هارون دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٢. من الحجاج الى البلاغة الجديدة: د. جميل حمداوي، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٤م.
٢٣. منهاج البلغاء وسراج الأدباء: حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق، محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٧م.
٢٤. نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس، د. عايدة حوشي، صفحات، سورية، دمشق، ٢٠١٧م.

٢٥. الوجيز في السيميائية العامة: جان ماري كلينكنبرغ، ترجمة جمال الحضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

الدوريات

١. البلاغة الغربية المعاصرة مدخل موجّه للباحث العربي، عماد عبد اللطيف، البلاغة وتحليل الخطاب، العدد، ١٠، ٢٠١٧م.
٢. الشفاهية والكتابة: والترج. أونج، ترجمة، د. حسن البنا عز الدين، مراجعة محمد عصفور، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٨٢، فبراير، ١٩٩٤م.

٢٠١٨ السنة ٧١ - العدد ٤ - ١٣١١



مجلة أبحاث النهضة للعلوم الإنسانية